

حقائق التأويل

[50] بقوانينه [1] . والارجح أن هذا هو معنى التقشف الذي ينسب إليه . وإذا كانت الامارات، والترف، والحضارة، والثراء، لا تنفك في الاغلب عن اقتراف الجرائم، وغمط الحقوق، والتلاعب بالقوانين المدنية، وهتك نواميس الشرع الاقدس - فان الشريف لم يؤثر عنه إلا العفة المطلقة والفتوة والمماشاة بوفاق مع المروءة واحترام النواميس كافة، حتى في مجالسه الخاصة، ونحن لتلك العزة وتلك الانفة والمروءة ندعن لآخر نظرة أنه لم يقترف مآثما، وأن تلك الصفات والملكات تكفه وتردعه بسهولة وبلا مقاسرة، عن المطالم التي تبتعد بالمروءة إلى المطرح السحيق. وفوق ذلك انا نعتقد عندما ننظر في شعره إلى امثال قوله: شغلت بالمجد عما يستلذ به * وقائم الليل لا يلوي على السمر أنه مع تمكنه من لذائذ الحياة بأكمل وجه قد اصبح محروما عن اكثرها، إثارا للمروءة وصونا لكرامة العرض، ونزداد يقينا في هذا إذا لاحظنا أنه لم يستعمل المواردية في شعره، ولم يجالس الخلعاء والظرفاء الذين يستخفون بالنواميس في أيام شببته، وأنه لذلك لم يصرف شيئا من شعره في فنون المهازل والمجون، فان هذا يدلنا على انه لم يعمل ما يعتذر عنه ولا يصانع احدا سترأ على نفسه، ولذا نجده وهو بمرصد من اعدائه لا يحفل أن يجاهر بمثل قوله: عف السرائر لم تلط لريبة * يوما علي مغالقي وسجوفي _____ (1) ابن ابي الحديد في شرح النهج وغيره. (*) _____